

الكشاف

يحشرهم . فيقول : كلاهما بالنون والياء وقرئ : يحشرهم بكسر الشين " وما يعبدون " يريد " المعبودين من الملائكة والمسيح وعزيز . وعن الكلبي " الأصنام ينطقها ا . ويجوز أن يكون عاما لهم جميعا . فإن قلت : كيف صح استعمال " ما " في العقلاء ؟ قلت : هو موضوع على العموم للعقلاء وغيرهم بدليل قولك - إذا رأيت شبعا من بعيد - : ما هو ؟ فإذا قيل لك : إنسان قلت حينئذ : من هو ؟ وبدلك قولهم من لما يعقل . أو أريد به الوصف كأنه قيل : ومعبوديهم ألا تراك تقول إذا أردت السؤال عن صفة زيد ؟ ما زيد : تعني : أطويل أم قصير ؟ أفقيه أم طيب ؟ فإن قلت : ما فائدة أنتم وهم ؟ وهلا قيل أضللتهم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل ؟ قلت : ليس السؤال عن الفعل وووده لأنه لولا وجوده لما توجه هذا العتاب وإنما هو عن متوله فلا بد من ذكره وإيلائه حرف الاستفهام حتى يعلم أنه المسؤول عنه فإن قلت : فإسبحانه قد سبق علمه بالمسؤول عنه فما فائدة هذا السؤال ؟ قلت : فائدته أن يجيبوا بما أجابوا به حتى يبكت عبدتهم بتكذيبهم إياهم فيبهتوا وينخذلوا وتزيد حسرتهم ويكون ذلك نوعا مما يلحقهم من غضب ا وعذابه ويغضب المؤمنون ويفرحوا بحالهم ونجاتهم من فضيحة يلحقهم من غضب ا وعذابه ويغضب المؤمنون ويفرحوا بحالهم ونجاتهم من فضيحة أولئك وليكون حكاية ذلك في القرآن لظفا للمكلفين . وفيه كسر بين لقول من يزعم أن ا يضل عباده على الحقيقة حيث يقول للمعبودين من دونه : أنتم أضللتموهم أم هم ضلوا بأنفسهم ؟ فيتبرؤون من لإضلالهم ويستعذبون به أن يكون مضلين ويقولن : بل أنت تفضلت من غير سابقه على هؤلاء وآبائهم تفضل جواد كريم فجعلوا النعمة التي حقها أن تكون سبب الشكر سبب الكفر ونسيان الذكر وكان ذلك سبب هلاكهم فإذا برأت الملائكة والرسل أنفسهم من نسبة الإضلال الذي هو عمل الشياطين إليهم واستعاذوا منه فهم لربهم الغني العدل أشد تبرئة وتنزيها منه ولقد نزهوه حين أضافوا إليه التفضيل بالنعمة والتمتع بها . وأسندوا نسيان الذكر والتسبب به للبوار إلى الكفرة فشرحوا الإضلال المجازي الذي أسنده ا تعالى إلى ذاته في قوله : " يضل من يشاء " الرعد : 27 ، النحل : 93 ، فاطر : 8 ولو كان هو المضل على الحقيقة لكان الجواب العتيد أن يقولوا : بل أنت أضللتهم . والمعنى : أنتم أوقعتموهم في الضلال عن طريق الحق ؟ أم هم ضلوا عنه بأنفسهم ؟ وصل : مطاوع أضله وكان القياس : ضل عن السبيل إلا أنهم تركوا الجار كما تركوه في هذه الطريق . والأصل : إلى الطريق وللطريق . وقولهم : أضل البعير في معنى : جعله ضالا أي ضائعا لما كان أكثر ذلك بتفريط من صاحبه وقلة احتياط في حفظه قيل : أضله سواء كان منه فعل أو لم يكن " سبحانك

" تعجب منهم قد تعجبوا مما قيل لهم لأنهم ملائكة وأنبياء معصومون فما أبعدهم عن الإضلال الذي هو مختص بإبليس وحزبه . أو نطقوا بسبحانك ليدلوا على أنهم المسيحون المتقدسون الموسومون بذلك . فكيف يليق بحالهم أن يضلوا عباده ؟ أو قصدوا به تنزيهه عن الأنداد وأن يكون له نبي أو ملك أو غيرهما ندا ثم قالوا : ما كان يصح لنا ولا يستقيم ونحن معصومون أن نتولى أحدا دونك فكيف يصح لنا أن نحكل غيرنا على أن يتولونا دونك . أو ما كان ينبغي لنا أن نكون أمثال الشياطين في توليهم الكفار كما تولاهم الكفار . قال اﷻ تعالى : " فقاتلوا أولياء الشياطين " النساء : 76 يريد الكفرة وقال : " والذين كفروا أولياءهم الطاغوت " البقرة : 257 وقرأ أبو جعفر المدني : نتخذ على البناء للمفعول . وهذا الفعل أعني اتخذ يتعدى إلى مفعول واحد كقولك اتخذ وليا وإلى مفعولين كقولك : اتخذ فلانا وليا . قال اﷻ تعالى : " أم اتخذوا آلهة من الأرض " الأنبياء : 1 وقال : " واتخذ اﷻ إبراهيم خليلا " النساء : 125 القراءة الأولى من المتعدي إلى واحد وهو " من أولياء " والأصل : أن نتخذ أولياء فزيدت " من " لتأكيد معنى النفي والثانية : من المتعدي إلى مفعولين . فالأول ما بني له الفعل . والثاني : " من أولياء " . ومن للتبعيض أي : لانتخذ بعض أولياء . وتنكير " أولياء " من حيث أنهم أولياء مخصوصون وهم الجن والأصنام . والذكر : ذكر اﷻ والإيمان به أو القرآن والشرائع . والبور : الهلا : . يوصف به الواحد والجمع : ويجوز أن يكون جمع بائر كعائذ وعود